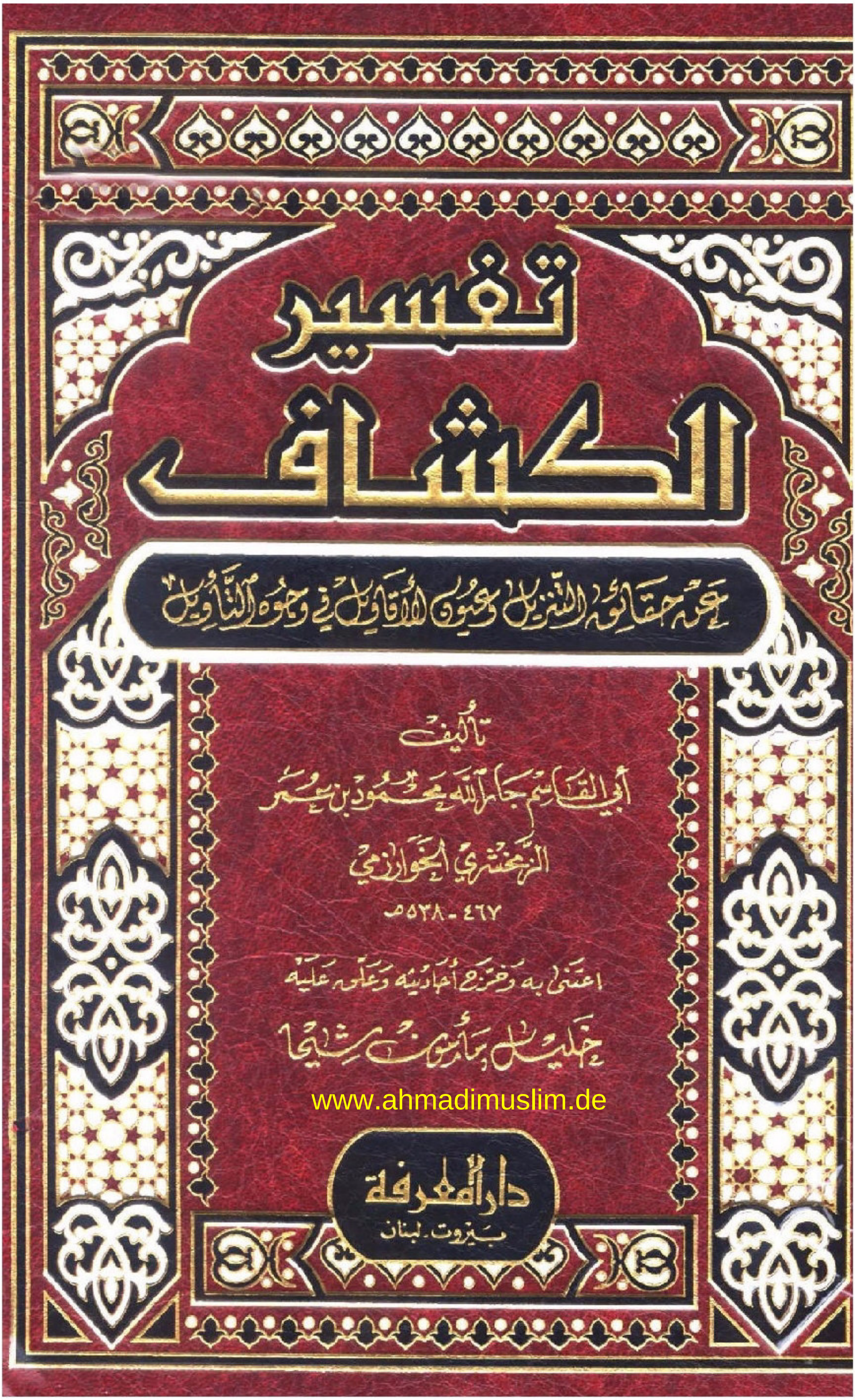

تفسير
الكشاف
عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
تأليف
أبي القاسم جار الله محمود بن عمر
الزمخشري الخوارزمي
٤٦٧ - ٥٣٨هـ
اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه
خليل مأمون شيحا
دار المعرفة
بيروت . لبنان

تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾[1] أنهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم؟ قُلْتُ: يجوز أن يضلوا عنهم إذا وبخوا وقيل لهم: أينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وأن يكونوا معهم في سائر الأوقات وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم إلا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم ﴿بل لم نكن ندعوا من قبل شيئًا﴾ أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئًا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئًا كما تقول حسبت أنّ فلانًا شيء، فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيرًا ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾ مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا.

ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾

﴿ذلكم﴾ الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح ﴿بغير الحق﴾، وهو الشرك وعبادة الأوثان.

ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى: ﴿لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾[2] ﴿خالدين﴾ مقدّرين الخلود ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ عن الحق المستخفين به مثواكم أو جهنم.

فإن قُلْتَ: أليس قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول: زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى؟ قُلْتُ: الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء.

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

﴿فإمّا نرينك﴾ أصله فإن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط، ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول إن تكرمني أكرمك ولكن أما تكرمني أكرمك.

فإن قُلْتَ: لا يخلو إما أن تعطف ﴿أو نتوفينك﴾ على نرينك وتشركهما في جزاء واحد، وهو قوله تعالى ﴿فإلينا يرجعون﴾ فقولك فإمّا نرينك بعض الذي نعدهم فإلينا يرجعون غير صحيح وإن جعلت فإلينا يرجعون مختصًا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء قُلْتُ: فإلينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره، فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل والأسر يوم بدر فذاك أو إن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة، فننتقم منهم أشدّ الانتقام ونحوه قوله تعالى: ﴿فإما نذهبنّ بك فإنا منهم منتقمون، أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون﴾[3].

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾

﴿ومنهم من لم نقصص عليك﴾ قيل: بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن عليّ رضي الله عنه أنّ الله تعالى بعث نبيًا أسود[4]، فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله ﷺ عنادًا يعني أنا قد أرسلنا كثيرًا من الرسل وما كان لواحد منهم ﴿أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾، فمن لي بأن آتي بآية مما تقترحونه إلا أن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها ﴿فإذا جاء أمر الله﴾ وعيد وردّ عقيب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة ﴿المبطلون﴾ هم المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحرًا.

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾

الأنعام الإبل خاصة.

فإن قُلْتَ: لم قال ﴿لتركبوا منها﴾ ولتبلغوا عليها ولم يقل لتأكلوا منها ولتصلوا إلى منافع أو هلا قال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم! قُلْتُ: في الركوب الركوب في الحج والغزو، وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو طلب علم وهذه أغراض دينية إمّا واجبة أو مندوب إليها مما يتعلق به إرادة الحكيم وأما الأكل وإصابة المنافع، فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به إرادته ومعنى قوله:

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾

﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ وعلى الأنعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر.

فإن قُلْتَ: هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين! قُلْتُ: معنى الإيعاء، ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لأنّ الفلك وعاء أن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضًا فليطابق قوله: وعليها ويزاوجه.

وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾

﴿فأي آيات الله﴾ جاءت على اللغة المستفيضة، وقولك فأية آيات الله قليل لأنّ التفرقة بين المذكر والمؤنث في

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 98.
(2) سورة الحجر، الآية: 44.
(3) سورة الزخرف، الآيتان: 41 ـ 42.
(4) أخرجه ابن مردويه، وذكره الطبراني في معجمه الأوسط، وذكره الثعلبي، الزيلعي: 3/222.